

أحراش جيبيا



تنفيذ

دعم

 الرؤية الفلسطينية
PALESTINIAN VISION

HEKS 

إعداد: أحمد حنيطي



صور: سامر الشريف

تتميز معظم جبال الضفة الغربية بالصخور الكلسية ذات الدرجات المختلفة من الإنحلال، مما مكنها من أن تكون تاريخياً مغطاة بالنباتات والأشجار البرية، ونتيجة لاعتماد فلسطين تاريخياً على الزراعة، فقد قام الفلاح الفلسطيني على مدار عشرات السنوات باستصلاح مساحات كبيرة من الأراضي على قمم وسفوح الجبال، وقام ببناء المصاطب والسناسل الزراعية لمحاولة موازنة هذه السفوح للزراعة وتأمين دخله الإقتصادي. ويتحدث الدباغ عن الزراعة في مناطق الجبال الفلسطينية «ولا تقتصر الجبال على مناطق صخرية جرداء وسفوح عارية من الأشجار والغابات بل تشمل على وديان واحواض خصبة تزرع فيها الحبوب، وقد تم التوصل فضلاً عن ذلك إلى نتائج باهرة في زراعة الزيتون والكرمة وأشجار الفاكهة غرست في قطع صغيرة من الأراضي ذات 'حبلات' اقترن انشاؤها وصيانتها بنصيب وافر من الصبر والمهارة» (الدباغ 2002 ج1: 47). ويضيف الدباغ أنه ونتيجة تمتع المنحدرات الغربية لجبال فلسطين بمقدار معتدل من الأمطار، فإنها

تنتج غلاتاً وفيرة، ويزرع في الجبال ما يزرع في السهول - باستثناء البرتقال والبطيخ - من حبوب وبقول وخضار وغيرها، ومن أشهر مزروعاتها الزيتون والكرمة والتين واللوز وغيرها من أشجار الفاكهة (الدباغ 2002 ج1: 56-60).

تعتبر أراضي قرية جيبيا مثالاً على الزراعة في المناطق الجبلية التي تحدث عنها الدباغ أعلاه، حيث تدل الشواهد وكذلك الروايات الشفوية، أن الأراضي التي تقع فيها أحراش قرية جيبيا هي أراضي زراعية، زرعت بأشجار الزيتون والتين والعنب، والحبوب والبقوليات والخضار، وبعد إهمال الزراعة، تحولت الأراضي الزراعية إلى أحراش. الأغلبية الساحقة من الأراضي الحرجية في قرية جيبيا هي ملكية خاصة، تملكها عائلات القرية، وتتميز هذه الأراضي بوجود السناسل الحجرية التي استخدمت في السفوح الجبلية لتناسب مع الإستغلال الزراعي، بالإضافة إلى ذلك يوجد في المناطق شبه المنبسطة أكوام من الحجارة، مما يدل على أن المزارعين في قرية جيبيا قاموا بتنظيف الأراضي من الحجارة لكي



تتناسب مع الزراعة أيضاً، إن وجود هذه السناسل وأكوام الحجارة يدل على إهتمام أهالي جيبيا واعتمادهم بشكل رئيسي على الانتاج الزراعي، كما يدل على المجهود الذي بذله الفلاحون في استصلاح أراضيهم في مناطق جبلية وعرة، ووجود أشجار الزيتون في الكثير من أراضي قرية جيبيا يدل على اهتمام الأهالي في الزراعة. تقول أم عماد أنها مارست الزراعة في قرية جيبيا، حيث كانت كافة الأراضي الجبلية مزروعة بالحبوب والبقوليات، ومن المزروعات التي كانت تزرعها أم عماد: العدس والشعير والكرسنة وال فول وجميع الخضروات، كما كانت أراضي عائلتها مزروعة بأشجار التين والزيتون والخوخ واللوز، وحسب أم عماد فإن شجرة الكرمة كانت من أكثر الأشجار انتشاراً في جيبيا، وقد اعتمد سكان القرية على عين مياه القسطل التي تقع في الجنوب الغربي للأراضي الزراعية، بالقرب من الواد¹.

1. مقابلة مع أم عماد، أجريت بتاريخ 23 كانون الأول 2015.



وحسب الإحصاءات التي يوردها الدباغ، ضمت جيبيا حوالي 1666 دونماً، منها 350 دونم زرع بالزيتون، أما بخصوص سكانها فقد بلغوا سنة 1922 حوالي 62 نسمة، وفي عام 1931 بلغوا 63، وفي العام 1945 بلغوا 90 نسمة (الدباغ 2002 ج: 8: 313)، أما في العام 2015 فقد بلغ عدد سكان جيبيا، وذلك حسب الإسقاطات السكانية التي أعدها الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني 184 نسمة²، يدل على أن القرية كانت غير جاذبة للسكان، وتحدثت أم عماد عن تلك الحالة: فقد كانت جيبيا منطقة منعزلة لا يتوفر فيها الخدمات مثل التعليم والصحة، مما أدى إلى قيام بعض الأسر بالهجرة إلى أقرانهم في القرى الأخرى، وخاصة بهدف تعليم أبنائهم، فقد قامت أم عماد بالانتقال إلى قرية بيزيت بهدف توفير التعليم لأبنائهم، وتزامن مع تلك المرحلة ظهور مصادر مدخل اقتصادي غير الزراعة، كالعمل في الخدمات وفي المنشآت حديثة

كان الفلاح الفلسطيني يقسم السنة إلى ستة مواسم زراعية، وهي (ناصر 1974: 70):

- تشرين الثاني: موسم الحرث وزراعة الحبوب.
- كوانين: موسم الأمطار.
- آذار ونيسان وأيار: موسم حرث الأرض الشجرية وزراعة الخضروات والتلقيح وحصاد القطن. وعادة تدرث الأرض مرتين: الأولى في بداية آذار وتسمى «كراب» والثانية في بداية نيسان وتسمى «ثناية»، وأحياناً في بداية أيار وتسمى «تثليث».
- حزيران وتموز: موسم حصاد القمح والشعير وتغطية العنب. لم يكن غطاء العنب يتم باستخدام أكياس ورقية كما هو حالياً، بل كانت تتم بوضع طبقة من أغصان وأوراق العنب فوقها طبقة من النتش ثم حجارة صغيرة.
- آب وأيلول: موسم قطف العنب والتين.
- تشارين: موسم الزيتون.

2. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، «التجمعات السكانية في محافظة رام الله والبيرة حسب نوع التجمع، وتقديرات أعداد السكان»، 2007-2016

العهد، بالإضافة إلى العمل داخل الكيان الإسرائيلي. بعض تلك الأسر استقر في الأماكن التي انتقل إليها والبعض الآخر عاد للإقامة في القرية.

بدأ انتشار أشجار السرو والصنوبر في قرية جيبيا في فترة الحكم الأردني في الضفة الغربية، ومن خلال رشيد النجاب، حيث كان النجاب يعمل في البداية طوّافاً للمناطق الحرجية المنتشرة في منطقة الشمال الغربي لمحافظة رام الله، أحرّاش أم صفا وعين الهاشمي وخلة طالب وغيرها، ثم عمل مسؤولاً عن الأحرّاش في منطقة رام الله، وهذا مكّنه من التصرف باستعمال أشتال السرو والصنوبر في المشاتل الحرجية التي أعدت لتشجير الجبال والتلال من قبل الحكومة الأردنية، فعمل على زراعة الأشجار الحرجية في حدود أراضيه بهدف حمايتها ولإبراز حدودها لأهالي القرية، وقد احتذى به بعض أهالي القرية الذين كانوا يفلحون أراضيههم. زرعت تلك الأشجار فوق السناسل الحجرية التي أقامها سكان القرية في سفوح أراضيهم الوعرة منذ القدم.

وقد ساهم إهمال الأراضي الزراعية، وتراجع

سكان القرية عن فلاحتها، وكذلك وجود عدد كبير من أشجار الصنوبر السرو في المنطقة، إلى أن تكون أراضي جيبيا أراضي حرجية.

بالنسبة إلى تراجع الزراعة في فلسطين، نتحدث أغلب الدراسات التي تناولت المجتمع الفلسطيني عن عملية تراجع الزراعة، كمصدر أساسي للإنتاج الإقتصادي في المجتمع الفلسطيني، وتعزو الكتابات التي تتحدث عن هذا التراجع، هذه الأسباب إلى سيطرة إسرائيل على الأراضي الزراعية ومصادر المياه في الأراضي الفلسطينية، وعدم قدرة الدخل المعتمد على الزراعة من تغطية النفقات الاستهلاكية للأسر، وظهور مصادر أخرى في المنشآت الاقتصادية المخلفة وفي قطاع الخدمات، لاسيما بعد اتفاقيات أوسلو. يلخص إبراهيم أبو كامش الحالة الزراعية في فلسطين على هذا النحو: «نظراً لعدم الإهتمام بتوسيع رقعة الأراضي الزراعية من قبل الدولة وكذلك لتناقص أهمية الدخل من الزراعة بالنسبة للفلاحين، وازدياد عدد السكان، فقد تناقصت حصة الفلاح من الأرض، وتناقصت حتى المساحة الكلية للأراضي الزراعية

بسبب الإهمال وتكرار مواسم الجفاف في الوقت ذاته كانت الهجرة إلى الخارج وإلى المدن لها انعكاساتها السلبية على وضع الزراعة في الضفة الغربية، هذا عدا عن الأفكار الخطيرة والتي تهدد مستقبل الزراعة والأرض في الضفة الفلسطينية والتي أخذت تتبلور عند العمال المأجرين في إسرائيل. فالأرض حسب منطقتهم عاجزة عن تلبية احتياجات المزارع الأساسية وهي لا تستحق العمل والتفرغ لها ... هناك تركيز لأخلاقيات احتقار العمل الزراعي مع الأخذ بعين الاعتبار صعوبة استغلال الأرض في المناطق الجبلية من الضفة الغربية، وعوامل أخرى تساعد على الإبتعاد عن الأرض: غلاء المعيشة والأجور العالية للعمال». (أبو كامش 1991: 19-20)

وتوصلت دراسة المالكي وشلبي إلى أن الأسرة الريفية، ونتيجة النزعة الإستهلاكية وازمحلل مصادر المياه والأراضي الزراعية، بدأت فيها عملية بلترة للمزارعين، وتحولت إلى الأعمال التي تُدر نقداً، من خلال العمل في المهن الحرفية التي تتصف بالنزعة الإستهلاكية وخاصة بعد عام 1967،



من الشجيرات والأعشاب والحشائش والمتسلقات التي تنمو في المنطقة، وما يميز الأرض الحرجية في قرية جيبيا عن غيرها من الغابات والأراضي الحرجية الأخرى أن بعض أجزاء المنطقة الحرجية تتخللها بعض أشجار الزيتون كون المنطقة كانت زراعية سابقاً، وكذلك وجود العديد من المصاطب والسناسل الحجرية. (عيسى 2013: 33).

رغم قرب المسافة بين أحراش أم صفا وأحراش جيبيا إلا أن هناك بعض الاختلافات بينهما، "بشكل عام يتصف حراج أم صفا بقدوم عمره ويقدر بتسعة عقود، وبدل الغطاء الشجري الكثيف والشاهق الارتفاع على عمر الأشجار فيه كما يدل قطر بعض الأشجار على ذلك، وهذا ما لا يتصف به حراج جيبيا الذي يفترض عمره أربعة عقود، فأشجارها أقل ارتفاعاً وأقطار جذوعها أقل مقارنة بحراج أم صفا، كما يعتبر حراج أم صفا أكثر كثافةً وتنوعاً بالأنواع النباتية من حراج جيبيا فهناك فرق ما بين كلا المنطقتين من ناحية الوفرة والكثافة والأنواع وطبيعة العلاقات الحيوية النباتية" (عيسى 2013: 74)

مثل المحاجر والنجارة والمحلات التجارية، مستغلين في ذلك التحويلات المالية من أقاربهم في المهجر، فشكّلت تلك الأعمال الإنتاجية المصدر الرئيسي للدخل، واعتُبرت الزراعة مصدر دخل ثانوي، وكذلك بالاعتماد على العمل المأجور في الأسواق الإسرائيلية. ورأى الكاتبان أن عملية العزوف عن الزراعة كانت لها بدايات قبل عام 1967 ولكنها ازدادت مع ظهور الثقافة الإستهلاكية وإلحاق الإقتصاد الزراعي بالسوق الرأسمالية الاسرائيلية (المالكي وشلبي 1993).

تقدر المساحة الكلية للأراضي جيبيا حوالي 1666 دونم، فيما تبلغ مساحة الأرض الحرجية حوالي 542 دونم، وتتراوح ارتفاعها حوالي 650-675م، ومعدل سقوط الأمطار السنوي حوالي 600ملم، وتتميز بوجود المناخ الرطب والبارد شتاءً والجاف والحر صيفاً مما يوفر البيئة الملائمة والمناسبة لنمو الأشجار، كما أن تربتها الحمراء (التيراروزا) الغنية بالمواد العضوية (الدبال) المتكونة نتيجة للظروف المناخية (عيسى 2013: 32). كما يوجد في منطقة الأحراش حوالي 16 نوع نباتي، بالإضافة إلى الكثير



خربة صيا³

يوجد في الزاوية الشرقية لقرية جيبيا موقع أثري يعود إلى الفترة البيزنطية، وقام الدكتور حامد سالم، وبالتعاون مع متخصصين وطلبة من جامعة بيزيت وأجانب بالتنقيب في الموقع عام 1999، وبيّنت التنقيبات الأثرية في الموقع على وجود العديد من الشواهد والمعالم التي تدل على بقايا لقرية رئيسية في العهد البيزنطي. يقع الموقع الأثري على مساحة تبلغ 45 دونم من أراضي عائلة النجاب، أحد العائلات الرئيسية في قرية جيبيا، كما تدل المعطيات الأثرية في الموقع أن تلك القرية قد اعتمدت اقتصادياً على فائض إنتاج زيت الزيتون وكذلك النبيذ المصنّع من محاصيل العنب التي كانت منتشرة في المنطقة، وأيضاً اعتمدت القرية اقتصادياً على المحاجر والتي تميزت بإنتاج

3. جميع المعلومات عن خربة صيا في هذه الورقة مأخوذة من:

Salem, Hamed. Khirbet Siya: A Byzantine Settlement in Ramallah- Palestine.

https://www.academia.edu/1602107/Khirbet_Siya_A_Byzantine_Settlement_in_Ramallah-Palestine

هناك نحو رأس العين، ومن ثم إلى قيساريا
أو يافا، واثنين من الموانئ خلال الفترة
الرومانية والبيزنطية.

والطريق يأتي من القدس إلى مدينة البيرة،
حيفا، ثم شمالاً نحو مدينة نابلس، وشرقاً
نحو بيرزيت، ثم إلى خربة صيا، مما يؤدي من

الزاوية الشمالية الشرقية من القرية. وتجدر
الإشارة إلى أن خربة صيا تقع على أحد الطرق
القديمة، والمعروفة باسم طريق رومانيا،

حجر ذات جودة جيدة زودت القرى والمواقع
البيزنطية الأخرى. وأيضاً دلت الاكتشافات
الأثرية على وجود كنيسة ومعصرة زيتون في



ورغم الإهمال الذي يتعرض له الموقع، إلا أن الزائر له يستطيع بكل سهولة رؤية جدران بعض بنايات تلك القرية وكذلك بعض بقايا الإنتاج الإقتصادي: زيت الزيتون وإنتاج النبيذ، وكذلك الأراضي الفسفسائية لبنايات القرية، كما يشاهد الحضارات اللاحقة للفترة البيزنطية وكيف قام سكان المنطقة على مر السنوات بإنشاء السناسل الحجرية والمصاطب الزراعية بهدف استغلالها الأرض في عملية إنتاج الزراعي.

الوضع الحالي والتحديات

تعتبر أحراش جيبيا المتنزه الأكثر زيارة في محافظة رام الله، وخاصة لسكان مدينتي رام الله والبييرة، وذلك لأنها المنطقة الأقرب والأكثر أمناً من اعتداءات المستوطنين. وبما أن أراضي الأحراش ملكية خاصة لأهالي قرية جيبيا، قام المجلس القروي لجيبيا بتنظيم سياحة الاستجمام في الأحراش،

ففي عام 2011، قام ببناء بوابة حديدية على الطريق المؤدي إلى الأحراش، وتنظيم أوقات الاستجمام لفترات محددة، كما قاموا بوضع لوحات إرشادية كيفية استخدام الموقع، كما قام المجلس ومن خلال متطوعين بفرض رسوم مقدارها خمسة شواقل لكل سيارة تدخل إلى الأحراش. وفي بداية العام 2014 وقع مجلس قروي جيبيا اتفاقية مع البنك العربي لحماية منطقة الأحراش، تضمنت هذه الاتفاقية تجهيز منطقة أحراش جيبيا بمجموعة من الخدمات المتنوعة من بينها: طاوولات ومقاعد حجرية، وحاوليات نفايات صديقة للبيئة، ووحدات صحية متحركة، ولافئات إرشادية رئيسية وطفايات حريق⁴. رغم ما تمثل أحراش جيبيا من موقع مميز للتنزه لسكان محافظة رام الله والبييرة، إلا أن منطقة الأحراش غير محمية من قبل الجهات الحكومية المسؤولة عن ذلك، باعتبارها أراضي خاصة، مما يترك الحرية

الكاملة لأصحاب الأراضي بحق التصرف باستعمالات الأراضي الحرجية، سواء بقطع الأشجار لأغراض التحطيب، حيث يسمح لأصحاب الأراضي فقط بهذا العمل، كما قام بعض أصحاب الأراضي المزروعة بالأشجار الحرجية بالإستثمار فيها، إما بيعها لأناس من خارج القرية، وهم بدورهم قاموا ببناء بيوت في أراضيهم التي اشتروها أو قاموا بتسييحها ومنع المتنزهين من استخدامها، كما يتم حالياً بناء متنزه تبلغ مساحته حوالي 4 دونمات، وأيضاً تقوم نقابة الأطباء بالحفريات لحوالي 23 فيلا على مساحة تبلغ 14 دونم. إن غياب الرقابة على الأحراش أدى إلى حرق أجزاء من الأحراش في الأعوام 2000 و2007 و2010، وكانت الأخيرة أشدها ضرراً (عيسى 2013: 34)، بالإضافة إلى ذلك، يقوم المتنزهون بإلقاء مخلفاتهم في المكان مما

أدى إلى انتشار الأوساخ مما أعطى منطقة الأحراش مشهداً بصرياً ملوثاً. وبناء على ما سبق، فعلى وزارة الزراعة أن تقوم بدورها في حماية منطقة الأحراش من الإستهداف السلبي، والحد من تغيير المعالم الطبيعية والبيئية للمنطقة، وكذلك الضغط لترخيص عمليات الترميم والإستثمار السياحي في المنطقة، ورفع الوعي البيئي والحفاظ على المشهد البيئي والطبيعي من قبل السائحين، ووضع الحاويات في جميع المناطق وليس في المنطقة التي مولها البنك العربي فقط، وتشجيع الدعم والتبرعات من قبل رأس المال الفلسطيني للاستغلال الأمثل للمناطق السياحية البيئية في فلسطين. أما بخصوص خربة صيا، فإن على وزارة السياحة تسييح الموقع وحمايته من العبث والتخريب وسرقة المواد الأثرية من الموقع.

4. دنيا الوطن. البنك العربي يوقع اتفاقية تقديم مجموعة من الخدمات لمشروع منطقة أحراش جيبيا. 2014. 1. 21. <http://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2014/01/02/479796.html>

المراجع

- أبو كامش، إبراهيم. 1991. التركيب الطبقي في الضفة والقطاع 1948-1967. القدس: مركز الزهراء للدراسات والأبحاث.
- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، «التجمعات السكانية في محافظة رام الله والبيرة حسب نوع التجمع، وتقديرات أعداد السكان»، 2007-2016 http://pcbs.gov.ps/Portals/_Rainbow/Documents/Rmallaha.htm
- الدباغ، مصطفى مراد. 2002. بلادنا فلسطين. كفرقرع: دار الهدى للطباعة والنشر.
- دنيا الوطن. "البنك العربي يوقع اتفاقية تقديم مجموعة من الخدمات لمشروع منطقة أحرار جيبيا". (2014. 1. 2). <http://www.alwatanvoice.com/arabic/news/2014/01/02/479796.html>
- عيسى، موسى. 2013. تدهور التنوع الحيوي النباتي في حراج أم صفا وحراج جيبيا. بيرزيت: جامعة بيرزيت، 2013. رسالة ماجستير غير منشورة.
- المالكي، مجدي وخميس الشلبي. 1993. التحولات الاجتماعية-الاقتصادية في ثلاث قرى فلسطينية: شروط إعادة إنتاج الأسر الريفية الفلسطينية تحت الاحتلال. رام الله: مركز العمل التنموي/معا.
- ناصر، منير. «النشاط الزراعي لفلاح بيرزيت على مدار السنة». مجلة «التراث والمجتمع». ع 1 (نيسان 1974). البيرة: مركز دراسات التراث والمجتمع الفلسطيني.

Salem, Hamed. Khirbet Siya: A Byzantine Settlement in Ramallah- Palestine.

https://www.academia.edu/1602107/Khirbet_Siya_A_Byzantine_Settlement_in_Ramallah-_Palestine

نروي

الأرض والحكاية

يهدف مشروع نروي للحفاظ على الهوية والإرث وطرق العيش في المجتمعات الفلسطينية. حيث نسعى من خلال هذا المشروع إلى إحياء ستة مناطق أثرية وطبيعية حول محافظة رام الله، والتي تشكل جزء هام من الهوية الفلسطينية التاريخية والإرث الحضاري الفلسطيني. ينفذ المشروع مؤسسة الرؤيا الفلسطينية، بالشراكة مع وزارة السياحة الفلسطينية وتمويل من مؤسسة HEKS مجلس المساعدات الكنسي السويسري.

مؤسسة الرؤيا الفلسطينية

ش. الرشيد، عمارة الغرفة التجارية الطابق الخامس، القدس
02-6285080 | info@palvision.ps | www.palvision.ps